

## الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان وعمارته لمسجد قبة الصخرة-دراسة تاريخية

### The Umayyad Caliph Abd al-Malik bin Marwan and his architecture for the Dome of the Rock): A Historical Study)

"محمد سعيد" صلاح عثمانه<sup>(1)</sup>، عمر صالح علي العمري<sup>(2)</sup>

[DOI: 10.15849/ZJHSS.211130.11](https://doi.org/10.15849/ZJHSS.211130.11)

#### الملخص

تتناول هذه الدراسة التاريخية التحليلية للعمارة الأموية مسجد قبة الصخرة في المسجد الأقصى في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، وتهدف إلى التعرف على الفن المعماري الجمالي في بناء مسجد قبة الصخرة وأبنية المسجد الأقصى الشريف في مدينة القدس، وتذوق هذه القيم وأسرار روعتها وجمالها، وما تمثله من قيمة نوعية وحضارية كبرى في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية؛ في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، وكيف يمكن أن نوظف هذا الفن المعماري الرائع في تطبيقات العمارة الحديثة المعاصرة.

وخلصت الدراسة إلى نتائج أهمها أن العمارة الأموية الإسلامية احتوت على الكثير من ملامح الفن المعماري ومكوناته ومفرداته.

**الكلمات المفتاحية:** الدولة الأموية، العمارة الأموية، بيت المقدس، قبة الصخرة.

#### Abstract

This historical and analytical study deals with the Umayyad architecture of the Dome of the Rock mosque in the Al-Aqsa Mosque during the reign of Caliph Abdul-Malik bin Marwan, and aims to identify the aesthetic architecture in building the Dome of the Rock and the buildings of the Al-Aqsa Mosque in the city of Jerusalem and to taste these values and the secrets of its splendor and beauty and what it represents of great qualitative and cultural value in the history of Arab and Islamic civilization in its past, present and future together with how can we employ this wonderful architecture in the applications of modern contemporary architecture. The study concluded with results, the most important of which is that the Umayyad Islamic architecture contained many features, components and vocabulary of architectural art.

**Keywords:** Umayyad State, Umayyad Architecture, Jerusalem, Dome of the Rock

<sup>(1)</sup> محمد سعيد" صلاح عثمانه، الجامعة العربية المفتوحة، عمان <sup>(2)</sup> عمر صالح علي العمري، جامعة اليرموك، قسم التاريخ، كلية الآداب. تاريخ استلام البحث

## تعريف الدراسة

هذه الدراسة هي دراسة تاريخية تحليلية لعمارة مسجد قبة الصخرة في المسجد الأقصى في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، الذي ينتمي إلى مدرسة العمارة الإسلامية في عهدها الأموي، حيث كانت العمارة الإسلامية تعيش أفضل أيامها، وقد احتوت قبة الصخرة المشرفة كثيرًا من القيم والعناصر والمكونات المعمارية المهمة التي جعلتها تحفة معمارية رائعة.

## أهداف الدراسة

تهدف الدراسة الى:

- التعرف على الفن المعماري الجمالي في بناء مسجد قبة الصخرة وأبنية المسجد الأقصى الشريف في مدينة القدس وتذوق هذه القيم وأسرار روعتها وجمالها.
- الاستفادة من هذا الكنز المعماري الأصيل في تعميق الفكر المعماري ودور الأمويون في العمارة الإسلامية.
- الحفاظ والتوثيق المعماري للأبنية التراثية في ظل هجمة التغريب على عمارة التراث، وبخاصة فيما يتعلق بمباني دينية لها أهمية خاصة في السياق الحضاري، كالمسجد الأقصى بما فيه من مكونات، واعتزازنا عربيًا ومسلمين بجذورنا التاريخية.

## أهمية الدراسة

تتبع أهمية الدراسة من:

- أولاً- الأهمية الدينية للمسجد الأقصى في القرآن الكريم، فلقد كان مهبط الوحي ومعراج الرسول (عليه السلام) إلى السماء، وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.
- ثانيًا- أهميته الحضارية كذلك، حيث يعد بناء قبة الصخرة المشرفة صرحًا حضاريًا مميزًا، يمثل قيمة نوعية وحضارية كبرى في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها.
- ثالثًا- أهميته المعمارية، حيث يعد بناء مسجد قبة الصخرة من أقدم الآثار المعمارية في العمارة الإسلامية كلها، ومن أجمل المباني الدينية على وجه الأرض.

## الأهمية البحثية والمكتبية

بالرغم من أهمية موضوع الدراسة وكثرة الباحثين في مجال المسجد الأقصى إلا أنه لوحظ فقرًا في هذا الجانب، ولهذا أمل أن تمثل هذه الدراسة، إضافة نوعية لإثراء المكتبات العربية في هذا المجال.

المشكلة البحثية- : تهدف الدراسة للإجابة على الاسئلة الآتية:

1. هل هناك فن معماري جمالي في مسجد قبة الصخرة المشرفة ؟
2. ما القيم الفنية المعمارية في مسجد قبة الصخرة المشرفة ؟

### 3. كيف يمكن أن نوظف هذا الفن المعماري الرائع في تطبيقات العمارة الحديثة المعاصرة. منهج الدراسة وأدواتها

اتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي والتاريخي؛ لأنه يقوم على وصف الظاهرة للوصول إلى أسبابها وعواملها واستخلاص النتائج لتعميمها، ودراسة تحليلية معمارية في قبة الصخرة ودلالاتها. المنهج التحليلي؛ وهو من المناهج المهمة والمستخدم في البحث العلمي الذي يجمع بين التفسير، والاستنباط، والنقد، في كشف أهمية العمارة الإسلامية وفنونها في عالمنا اليوم الذي يشهد نقلة علمية تكنولوجية معرفية هائلة.

الأدوات البحثية: التي تتمثل في جمع البيانات والمعلومات من مصادرها المتنوعة، مثل الكتب والبحوث والدراسات العلمية والمجلات والدوريات العلمية، والمصادر الإلكترونية على الشبكة العنكبوتية.

#### معوقات الدراسة

- أ- المعوق الرئيس: عدم القدرة على زيارة المسجد الأقصى بسبب الاحتلال الصهيوني.
- ب - ضعف الدراسات المتخصصة بالفن المعماري لمسجد قبة الصخرة المشرفة.

#### الدراسات السابقة: هنالك بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع:

أ- كتاب أبو علي، عبدالفتاح، (2000)، (القدس دراسة تاريخية)، دار المريخ للنشر، الرياض، يتحدث فيه عن الأصل الديني في تسمية القدس والمسجد الأقصى، وعن دور الخليفة عبد الملك في بناء قبة الصخرة، وبناء المسجد الأقصى في العهد الأموي، ولم يتعرض فيه للفن المعماري أو هندسة العمارة لقبة الصخرة.

ب- كتاب ثروت عكاشة بعنوان (القيم الجمالية في العمارة الإسلامية)، صدر عن دار الشرق، 1994، حيث تحدثت الدراسة عن القيم الجمالية في العمارة الإسلامية بشكل عام، وقد ذكر أسطراً معدودة فقط عن قبة الصخرة، ولم يتوسع في بيان أهمية هذا الفن المعماري ومقارنته مع العمارة الحديثة المعاصرة.

ج- كتاب علي الصلابي (2008)، (عوامل الأزدهار وتداعيات الأندثار)، دار المعرفة، بيروت، ط2، المجلد 1. يتحدث فيه عن الجذور التاريخية للأسرة الأموية، والفتوحات الأموية والتفاصيل الواسعة عن تاريخ الدولة الأموية، دون التطرق إلى الجوانب العمرانية لقبة الصخرة وبيان مزاياها الهندسية.

د- كتاب عارف، عارف، (1955)، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، طبعة القدس. تعتبر قبة الصخرة المشرفة إحدى أهم المعالم الإسلامية في العالم، ذلك أنها إضافة إلى مكانتها وقدسيتها الدينية، تمثل أقدم نموذج في العمارة الإسلامية من جهة، ولما تحمله من روعة فنية وجمالية، تطوي بين زخارفها بصمات الحضارة الإسلامية على مر فترات المتابعة من جهة أخرى، حيث جلبت انتباه وإهتمام الباحثين والزائرين وجميع الناس من كل بقاع الدنيا، لما امتازت به من تناسق وانسجام بين عناصرها المعمارية والزخرفية.

هـ - دراسة ورقة عمل بعنوان (العناصر المعمارية وأصولها في مسجد قبة الصخرة) لعذنان ابو دية، الجامعة الإسلامية، تحدثت عن العناصر المعمارية وتأصيلها في مسجد قبة الصخرة ، دون إظهار أهمية هذا الفن المعماري ومقارنته مع العمارة الحديثة للمساجد وهندستها الراقية.

### أولاً- عبد الملك بن مروان:

#### • نشأته وحياته

الدولة الأموية أو الخِلافةُ الأمويَّةُ أو دولة بني أمية (41-132هـ/662-750م) هي واحدةٌ من أكبر الدُولِ الحاكمة في التاريخ، وثاني خلافة في تاريخ الإسلام بنو أمية، أولى الأسر المسلمة الحاكمة، وكانت عاصمة دولتهم في مدينة دمشق، بلغت الدولة الأموية ذروة اتساعها، فامتدت حدودها من أطراف الصين شرقاً حتى جنوب فرنسا غرباً، وتمكنت من فتح أفريقية والمغرب والأندلس وجنوب الغال والسند وما وراء النهر.

يرجع نسب الأمويين إلى أمية بن عبد شمس من قبيلة قريش، وكان لهم دورٌ مهم في عهد الجاهلية وخلال العهد الإسلامي، أسلم معاوية بن أبي سفيان في عهد الرسول محمد(صلى الله عليه وسلم)، وتأسست الدولة الأموية على يده، وكان من قبل والياً على الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين(13هـ/634م-23هـ/644م)، ثم نشب نزاع بينه وبين علي بن أبي طالب(35هـ/655م -40هـ/660م) بعد فتنة مقتل عثمان (23هـ/644م - 35هـ/656م)، حتى تنازل الحسن بن علي عن الخلافة لصالح معاوية بعد مقتل أبيه علي، فتأسست الدولة الأموية بذلك<sup>(1)</sup>.

أخذ معاوية عن البيزنطيين بعض مظاهر الحكم والإدارة، إذ جعل الخلافة وراثية عندما عهد لابنه يزيد بولاية العهد، واتخذ عرشاً وحراساً، وأحاط نفسه بأبهة الملك، وبنى له مقصورة خاصة في المسجد، كما أنشأ ديوان الخاتم ونظام البريد. بعد وفاة يزيد اضطربت الأمور، فطالب عبد الله بن الزبير بالخلافة، ثم تمكن عبد الملك بن مروان بن الحكم من هزيمته وقتله في مكة سنة (73هـ/692م)، فاستقرت الدولة مجدداً<sup>(2)</sup>.

جرت أكبر الفتوحات الأموية في عهد الوليد بن عبد الملك، فاستكمل فتح المغرب، وفتحت الأندلس بكاملها، كما فتحت السند بقيادة محمد بن القاسم الثقفي<sup>(3)</sup>، وبلاد ما وراء النهر بقيادة قتيبة بن مسلم<sup>(4)</sup>. ثم جاء بعده

(1) (الطبري، محمد بن جرير، (1985)، تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر، بيروت، ط1، 165/5، ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم الشيباني(1979). الكامل في التاريخ دار الكتاب العربي، بيروت، 3/5، 6).

(2) ابن الأثير، المصدر السابق، 3/398.

(3) محمد بن القاسم الثقفي قائد أحد جيوش الفتح، أشهر بكونه فاتح بلاد الهند، كان والده "القاسم الثقفي" والياً على البصرة، وهو ابن عم الحجاج بن يوسف الثقفي. ولد سنة 72هـ بمدينة الطائف في أسرة معروفة، فقد كان جده محمد بن الحكم من كبار ثقيف، وفي سنة 75هـ عين الحجاج بن يوسف الثقفي والياً عاماً على العراق والولايات الشرقية التابعة للدولة الأموية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، فعُيِّن الحجاج عمه القاسم والياً على مدينة البصرة، نشأ وترعرع محمد بن القاسم وتدرّب على الجندية، حتى أصبح من القادة ولم يتجاوز 17 عاماً من العمر بعد. (ابن خلكان، وفيات الأعيان، (1/341)، ابن الأثير، المصدر السابق، (4/205).

(4) قتيبة بن مسلم الباهلي (96 - 49) هـ / 669 - 715 م، قائد إسلامي شهير قاد الفتوحات الإسلامية في بلاد آسيا الوسطى في القرن الأول الهجري، هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة أبو حفص الباهلي، وكان أبوه 'مسلم بن عمرو' من أصحاب' مصعب بن الزبير ' والي العراق من قبل أخيه أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وقاتل معه في حربه ضد عبد الملك بن مروان سنة 72 هجرية، وقد نشأ قتيبة على ظهور الخيل رقيقاً لل سيف والرمح، محباً للفروسية، وقد أبدى شجاعة فائقة وموهبة قيادية فذة، لفتت إليه الأنظار بخاصة من القائد العظيم المهلب

الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي توفي مرابطاً في مرج دابق<sup>(1)</sup> لإدارة حصار القسطنطينية، ثم الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، الذي يُعد من أفضل الخلفاء الأمويين سيرةً. ثم ابن عمه يزيد بن عبد الملك، ثم أخيه هشام الذي فُتح في عهده جنوب فرنسا، وكان عهده طويلاً وكثير الاستقرار، وبعد موته دخلت الدولة في حالة من الاضطراب الشديد، حتى سيطر مروان بن محمد على الخلافة، فأخذ ينتقل بين الأقاليم ويقمع الثورات والاضطرابات، ثم التقى مع العباسيين في معركة الزاب<sup>(2)</sup>. فهُزم وقُتل، وكانت نهاية الدولة الأموية وتأسست الدولة العباسية، ثالث مراحل تاريخ الخلافة<sup>(3)</sup>. وقد شهد عهد الدولة الأموية ثورات وفتناً كثيرة، وكان منفذوا أغلب هذه الثورات إما الخوارج أو الشيعة.

عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي (26 هـ - 86 هـ / 646 - 705م) أبو الوليد الملقب بأبي الملوك الخليفة الخامس من خلفاء بني أمية، والمؤسس الثاني للدولة الأموية<sup>(4)</sup>. ولد في المدينة في خلافة عثمان بن عفان، وتفقّه فيها علوم الدين، وكان قبل توليه الخلافة ممن اشتهر بالعلم والفقه والعبادة، وكان أحد فقهاء المدينة الأربعة، قال نافع: «لقد رأيت المدينة ما فيها شاب أشد تشميراً ولا أفاقه ولا أقرأ لكتاب الله من عبد الملك بن مروان»، قال الأعمش عن أبي الزناد: «كان فقهاء المدينة أربعة: سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الملك بن مروان»<sup>(5)</sup>. وقال الشعبي: «ما جالست أحداً إلا وجدت لي الفضل عليه إلا عبد الملك بن مروان،

بن أبي صفرة، وكان خبيراً في معرفة الأبطال ومعادن الرجال، فتقرس فيه أنه سيكون من أعظم أبطال الإسلام، فأوصى به لوالى العراق الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان يحب الأبطال والشجعان، فانتدبه لبعض المهام ليختبره بها ويعلم مدى صحة ترشيح المهلب له، وهل سيصلح للمهمة التي سيولها له بعد ذلك أم لا. فتح خوارزم وبخارى، وسمرقند، وبلخ، وكاشغر، استشهد سنة 96 هـ، وعمره 48 سنة. (الطبري، تاريخ، 66/8، ابن كثير أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (1991)، البداية والنهاية، مكتبة دار المعارف، بيروت، 52/9، ابن الأثير، الكامل، 104/4).

(1) مرج دابق هو اسم معركة قامت في 8 أغسطس 1516 بين العثمانيين والمماليك قرب حلب في سوريا، قاد العثمانيين السلطان سليم الأول، وقاد المماليك قانصوه الغوري، تمزق جيش المماليك بسبب الخيانة وبسبب المدافع العثمانية التي لم يهتم المماليك بإدخالها في جيوشهم، وبسبب الفارق العددي البشري بين الجيشين. ساءت العلاقة بين العثمانيين والمماليك، وفشلت محاولات الغوري في عقد الصلح مع السلطان العثماني "سليم الأول" وإبرام المعاهدة للسلام، فاحتكما إلى السيف، والتقى الفريقان عند "مرج دابق" بالقرب من حلب في 25 رجب 922 هـ الموافق 24 أغسطس (1516) <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8>

(2) معركة الزاب الكبرى أو معركة الزاب الأعلى وقعت في 11 من جمادى الآخرة عام 132 هـ الموافق 25 يناير 750 قرب نهر الزاب الكبير وهو أحد روافد نهر دجلة، ويقع في شمال العراق. وقعت المعركة بين الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد وعبد الله بن علي، حيث التقى الجيشان في منطقة الزاب بين الموصل وأربيل، فانهزم جيش مروان وفر إلى مصر حيث قُتل في مدينة أبي صير، فكان آخر خلفاء بني أمية في الشام، وبمقتله انتهت عملياً الخلافة الأموية، ولذلك تعد إحدى المعارك الفاصلة في التاريخ الإسلامي، ولم ينح من الأمويين إلا عبد الرحمن بن معاوية الملقب بعبد الرحمن الداخل، الذي بدوره فر إلى الأندلس وأسس الدولة الأموية الثانية بها. (ابن كثير، البداية والنهاية، يَكر أحداث سنة اثنين وثلاثين ومائة)

(3) (الطبري، تاريخ، 431/4، ابن كثير، البداية والنهاية، 396/11 وما بعدها، الذهبي، شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت، 120/3، الصلابي، علي (2008)، عوامل الازدهار وتدايعات الاندثار، دار المعرفة، بيروت، ط2، المجلد 1، ص28 وما بعدها. الرئيس، محمد ضياء الدين، (1969)، عبد الملك بن مروان والدولة الأموية، ط2، ص11 وما بعدها).

(4) (ابن كثير، البداية والنهاية، 377/ 11، عويس، عبد الحليم (2002)، بني أمية بين السقوط والانتحار، الطبعة الأولى. القاهرة - مصر. سوبرلر للنشر، ص 25).

(5) (ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق أحمد عبد السلام الزعبي (1418 هـ - 1997م)، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ص 399. الناظر، شحادة، (1996)، تجديد الدولة الاموية، دار الكندي، اربد، ط1، ص291).

فإنني ما ذاكرته حديثاً إلا زادني فيه، ولا شعراً إلا زادني فيه». روى عبد الملك الحديث عن أبيه ومعاوية بن أبي سفيان وعن أم المؤمنين أم سلمة وعن بريرة مولاة عائشة بنت أبي بكر (1).

تسلم عبد الملك بن مروان حكم الدولة الأموية بعد أبيه مروان بن الحكم سنة 65 هـ / 684م، وحكم دولة الخلافة الإسلامية واحداً وعشرين عاماً، في وقت كانت الفتن والاضطرابات والانقسامات تعصف بها، في الكوفة كان أنصار الحسين يشعرون بالتقصير والذنب بعد معركة كربلاء (2)، وعندما عم الاضطراب أنحاء بلاد العالم الإسلامي بعد موت يزيد بن معاوية، خرجت من الكوفة ثورة التوابين 65 هـ / 684م (3)، وفي منطقة عين الوردية استطاع عبد الملك بن مروان القضاء على ثورتهم، وما إن أهدمت ثورة التوابين حتى خرج المختار بن أبي عبيد الثقفي (4). بشعار يا لثارات الحسين، واصطدم مع الأمويين في أكثر من وقعة انتصر فيها، لكن مصعب بن الزبير كفى عبد الملك مواصلة قتاله، واستطاع قتله وإخضاع الكوفة تحت سلطة ابن الزبير، كان الحجاز وبقية بلاد المسلمين إلا دمشق وجزء من الأردن تدين لعبد الله بن الزبير، وأدى زوال خطر المختار الثقفي إلى انحصار المنافسة على زعامة العالم الإسلامي بين عبد الملك بن مروان وعبد الله بن الزبير، فخرج عبد الملك إلى العراق، وانتصر على مصعب في معركة دير الجاثليق عام 72هـ/691م (5)، ثم سارع بإرسال جيش إلى الحجاز بقيادة الحجاج بن يوسف

(1) (ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي (1326هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف لنظامية، الهند، ط1، 423/6، ابن العربي، أبو بكر، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تحقيق محمود مهدي الإستنبولي ومحب الدين الخطيب (1412 هـ)، الطبعة السادسة، القاهرة - مصر. مكتبة السنة ص262 - 263).

(2) معركة كربلاء وتسمى أيضاً واقعة الطف، هي معركة وقعت على ثلاثة أيام وختمت في 10 محرم سنة 61 للهجرة والذي يوافق 12 أكتوبر 680 م، وكانت بين الحسين بن علي بن أبي طالب، ابن بنت النبي محمد، الذي أصبح المسلمون يطلقون عليه لقب "سيد الشهداء" بعد انتهاء المعركة، ومعه أهل بيته وأصحابه، وجيش تابع ليزيد بن معاوية. (الطبري، تاريخ، ج 5، ص 400)

(3) ثورة التوابين هي أول ثورة قامت بعد واقعة كربلاء بهدف الثأر للحسين وأصحابه الذين قتلوا هناك، و قد كانت بقيادة سليمان بن صرد الخزاعي عام 65 هـ. يمكن تلخيص أهداف ثورة التوابين بالنقاط التالية: إزاحة الأمويين من السلطة في الكوفة، وتحويلها إلى قاعدة للحكم الشيعي الذي ينبغي أن يسود في مختلف أقاليم الدولة. وأخذ القصاص من المسؤولين عن قتل الإمام الحسين، سواء الأمويين أم المتواطئون معهم. وتجسيد فكرة الاستشهاد، وذلك بالتنازل عن الأملاك واعتزال النساء. والإلحاح في طلب التوبة عن طريق التضحية بالنفس. وانتهى الاجتماع بهذه المقررات الحاسمة، واختيار سليمان بن صرد زعيماً لهم؛ وذلك لسبقه في الإسلام وصحبته للرسول، وأوتقهم علاقة بالإمام على وأبنائه، وأرفعهم شأناً في مكانته القبلية. (الأمين، حسين، 1356هـ.ق)، صور من التاريخ الإسلامي: ثورة التوابين 1، مجلة العرفان، المجلد السابع والعشرين، الجزء 8، ص733)

(4) المختار بن أبي عبيد الثقفي (1 هـ / 622 م - 67 هـ / 686 م) قائد عسكري طالب بدم الإمام الحسين بن علي، وقتل جمعاً من قتلته ممن كان بالكوفة وغيرها، أمثال عمر بن سعد وعبيد الله بن زياد وحرملة بن كاهل وشمر بن ذي الجوشن وغيرهم، سيطر على الحكم بالكوفة ورفع شعار "يا لثارات الحسين" وكان يخطط لبناء دولة علوية في العراق، وقد قُتل في الكوفة عام 67 للهجرة على يد جيش مصعب بن الزبير، وقد قتله أخوان من بني حنيفة أحدهما طرفة والآخر طراف، وهما ابنا عبد الله بن دجاجة، دفن في الكوفة قرب مسجدها، وكان لثورة المختار دور كبير في نشر التشيع وتوسيع رقعته. (الكامل في التاريخ - ابن الأثير، الكامل، ج 4 - ذكر قتل المختار قتلة الحسين، الطبري، تاريخ، ج 6 - ذكر الخبر عن أمر المختار مع قتلة الحسين بالكوفة، الزركلي، خير الدين، الأعلام، ج 7، ص 192. لذهبي، سير أعلام النبلاء، 3/359، ابن كثير، البداية، 11/67، 68).

(5) معركة دير الجاثليق هي معركة دارت أيام الفتنة الثانية بين عبد الملك بن مروان وجيش الشام والأمويين وبين جيش مصعب بن الزبير وجيش العراق والزبيريين، وقعت المعركة عند قصر دجيل عند دير الجاثليق في جمادى الآخرة سنة 72 هـ، انتهت المعركة بانتصار عبد الملك بن مروان ومقتل مصعب بن الزبير، بمقتل مصعب عادت العراق إلى حظيرة الدولة الأموية، وعين عبد الملك أخاه بشر بن مروان والياً على العراق .

التقفي؛ لمواجهة عبد الله بن الزبير، فحاصر الحجاج مكة، وانتهى الحصار بمقتل عبد الله بن الزبير، ودخول مكة تحت سيادة بني أمية على الحجاز عام 692/هـ، وبهذا انتهت خلافة ابن الزبير، وتوحد العالم الإسلامي تحت ولاية عبد الملك بن مروان وأصبح الخليفة الشرعي الوحيد للمسلمين<sup>(1)</sup>.

بعد أن استشرى خطر الخوارج عين عبد الملك المهلب بن أبي صفرة قائدًا لمحاربتهم، وبعد سلسلة طويلة من المعارك دامت ثلاث سنوات تمكن من التغلب على الخوارج الأزرقية عام 697/هـ<sup>(2)</sup>. ثم أمر عبد الملك الحجاج بن يوسف ببدء عمليات التصدي للخوارج الصفرية، وتمكن بعد عدة معارك من التغلب عليهم. ما إن استتب الأمر لابن مروان حتى قامت ثورة عبد الرحمن بن الأشعث عام 700/هـ واستمرت حتى عام 702/هـ، وانتهت بوقعة دير الجماجم<sup>(3)</sup> التي تصدى لها الحجاج، استمرت مائة يوم، وانتهت الثورة بانتحار ابن الأشعث بعد هروبه من المعركة في سجستان سنة 704/هـ<sup>(4)</sup>. لم يكن لعبد الملك نشاط كبير في الفتوحات الإسلامية: ففي جبهة المشرق الإسلامي ظلت فتوحات المسلمين على ما كانت قبل توليه الخلافة، أما على الجبهة البيزنطية فقد عانى المسلمون من هجمات النصارى المردة، وبسببهم عقد عبد الملك مع الإمبراطور البيزنطي جستنيان الثاني<sup>(5)</sup> معاهدة عام 689/هـ لمدة عشر أعوام. في حين كانت الجبهة الأفريقية المحور الجدي لفتوحات عبد الملك بن مروان، إذ خاض المسلمون عدة معارك لتصفية القواعد البيزنطية على الساحل الشمالي لإفريقية، وإخضاع البربر لسلطة الدولة، واستطاع القائد حسان بن النعمان الغساني الاستيلاء على قرطاجنة البيزنطيين، والقضاء على جيش البربر بقيادة الكاهنة ديهيا<sup>(6)</sup>.

(1) (العش، الدولة الأموية، ص 202).

(2) الخوارج الأزرقية فرقة من فرق الخوارج، سميت باسم زعيمها نافع بن الأزرق. نكر صاحب كشاف اصطلاحات الفنون أن الأزرقية قالوا «كفر علي بالتحكيم وابن ملجم محق في قتله». وكانت ثورة الأزرقية - بالبصرة وما حولها - أهم أسباب اضعاف الدولة الأموية، وقد أفضت إلى دخول الجند خراسانيين إليها وسقوطها في يد العباسيين.

<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A3%D8%B2%D8%A7%D8%B1%D9%82%D8%A9>

(3) وقعة دير الجماجم كانت عام: 83 هـ / 702 م في مكان بين الكوفة والبصرة يسمى دير الجماجم. قضى فيها الحجاج التقفي على أعنف الثورات الخارجة على بني أمية بقيادة عبد الرحمن بن الأشعث<sup>(4)</sup> [https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%88%D9%82%D8%B9%D8%A9\\_%D8%A9](https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%88%D9%82%D8%B9%D8%A9_%D8%A9)

(4) (الطبري، تاريخ، 7/ 246 وما بعدها، الصلابي، الدولة الاموية، ص 41 وما بعدها).

(5) جستنيان الثاني الملقب برهينوثميتوس كان آخر إمبراطور بيزنطي من السلالة الهرقلية، وحكم في الفترة من 685 وحتى 695 ومن 705 حتى 711. كان جستنيان الثاني حاكمًا طموحًا وشغوفًا، إذ كان متحمسًا لإعادة الإمبراطورية الرومانية إلى مجدها السابق، لكنه رد بعنف على أي معارضة لإرادته وافتقد الكياسة التي تميز بها والده، قسطنطين الرابع. وبالتالي، تولدت معارضة ضخمة لحكمه، نتج عنها عزله في 695 في انتفاضة شعبية، وعاد إلى العرش مرة أخرى في 705 بمساعدة جيش البلغار والسلاف. كانت فترة حكمه الثانية أكثر استبدادًا من الفترة الأولى، وشهدت الإطاحة به في النهاية في عام 711، إذ تركه جيشه الذي انقلب عليه قبل قتله.

<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D8%B3%D8%AA%D9>

(6) ديهيا أو الكاهنة ( 712-585 ) م المشهورة بلقب كاهنة البربر، قائدة بربرية خلفت الملك كسيلة في حكم البربر، وحكمت شمال أفريقيا مدة 35 سنة تشكل مملكتها اليوم جزءاً من المغرب الكبير وعاصمة مملكتها كانت مدينة ماسكولا (خنشلة حالياً) في الأوراس الجزائر حالياً، وقد دانت على ما يبدو باليهودية . في عام 2001 م، نُصِبَ تمثالٌ للكاهنة في منتزه بزي في باريس بصفته يمثلُ الجزائرَ ضمن مجموعة من التماثيل المشاركة في معرض «أطفال العالم». (Les Enfants du Mond) «وفي مدينة بغاي الجزائرية، وربما تفاعلاً مع العمل الباريسي، نصب تمثال للكاهنة في عام

كانت خلافة عبد الملك بن مروان مليئة بالصراعات والثورات والحروب التي أخذت جُلَّ وقته وجهده، وعلى الرغم من ذلك تذكر كتب التاريخ عدداً من إنجازاته أهمها: سك أول دينار ذهبي إسلامي خالص عام 677هـ/696م، والاستغناء عن الصور والرموز الملكية والمآثورات الدينية المسيحية كافة التي يحتملها الدينار البيزنطي، وتعريب الدواوين من الفارسية إلى العربية، إذ يُعد أول من بدأ بتعريب الدواوين في التاريخ الإسلامي. بالإضافة لقيامه بجهود كبيرة في العمارة والبناء: فقام ببناء الكعبة على بناء قريش، وبناء مسجد قبة الصخرة، بالإضافة لبناء مدينتي واسط في العراق وتونس في الشمال الإفريقي<sup>(1)</sup>.

### • العمارة في العصر الأموي

العمارة في أي حضارة هي وعاء الحركة البشرية التي لا يستغني عنها الإنسان في شؤون حياته، وهي إنتاج بشري يضع فيه أي مجتمع خبرته المعمارية والصناعية الفنية، وأصبحت العمارة من معايير الحكم على الشعوب والحضارات في تقدم ورقي فكرها المعماري والصناعي من عدمه، وهي هوية ذلك الشعب أو الحضارة، ودليله المادي المحسوس المشاهد الذي يشهد على الجهود المبذولة في إنشائها وتعميرها.

قبل العصر الأموي كان فن العمارة العربي بسيطاً جداً، ولم يتسم بكثير من المعالم والمميزات، ولم تبدأ العمارة الإسلامية باكتساب نمط مختلف أكثر تعقيداً حتى العهد الأموي، جاءت العمارة الأموية متأثرة كثيراً وشديدة الشبه بالعمارة البيزنطية التي كانت سائدة قبلها في بلاد الشام، بل إنها استتسخت تقريباً معالم الفن المعماري البيزنطي في الكثير من الأحيان دون تغيير كبير أو إضفاء صبغة مميزة عليه .

شهد العصر الأموي نهضة عمرانية ومعمارية، وقد دلت هذه النهضة على ذوق معماري وفكر جمالي، تجلت هذه النهضة في بناء المساجد وبناء البيوت السكنية، مثل القصور والدور، وقد اهتم الخلفاء الأمويون ببناء المساجد فكان من أهمها: المسجد الأقصى في القدس الذي يضم مسجد قبة الصخرة، وهو درة الأبنية الإسلامية من العصر الأموي وما بعده، بل من روائع فن العمارة العالمية وعجائبها. والمسجد الأموي الكبير بدمشق، وقد زين جدرانه بروائع فن الفسيفساء، والمسجد النبوي بالمدينة المنورة، والجامع الكبير في قرطبة، الأندلس<sup>(2)</sup>، ومسجد باب المردوم في مدينة طليطلة بإسبانيا، التي عمّرها الأمويون في أيام سيطرتهم على الأندلس، بالإضافة إلى قصري (عمرة) قرب

<https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A8%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%B32003>، (خماش، نجدت)، (1987م) الشام في

صدر الإسلام، الطبعة الأولى، دمشق - سوريا. دار طلاس، ص208).

(1) ابن حسين، بثينة، (1997م). الدولة الأموية ومقوماتها الأيدولوجية والاجتماعية، الطبعة الأولى، سوسة - تونس. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ص 35).

(2) عيسى، خالد (2011)، القيم الجمالية وهندسة العمارة في مسجد قبة الصخرة المشرفة وسبل الاستفادة منها في العمارة المعاصرة (دراسة نقدية و تحليلية)، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، ص27-28).

عمان، (والمشتى) قرب أريحا، كما أنشأوا مدناً كثيرة، من أبرزها الرصافة في الشام، وواسط في العراق، وقم في فارس، وحلوان في مصر، والقيروان في تونس<sup>(1)</sup>.

نظراً إلى ترامي أطراف الدولة الأموية؛ فبطبيعة الحال تفاوتت كثير من الأنماط والطرزات المعمارية بين أنحاءها المختلفة، التي اعتادت عليها شعوب المناطق المفتوحة حديثاً، وأما «العمارة الأموية» فظهرت في جلها بمنطقة بلاد الشام، مركز الدولة، وقد كانت القصور الأموية التي بنيت في هذه المنطقة فريدة، إذ لا توجد أي دلائل تاريخية أو أثرية على وجود مبانٍ مثلها، وبمثل طرازها في الشام قبل الحكم الأموي، وبشكل عام تُعد القصور والمساجد الجامعة الكبيرة أبرز الإنجازات المعمارية في العصر الأموي.

ويُمكن ملاحظة هذا التأثير -على سبيل المثال- في مسجد قبة الصخرة، فنمطه المعماري يشبه إلى حد بعيد النمط البيزنطي المسيحي، ولو أنه مع ذلك يتسم ببعض المميزات الإضافية المستمدة من العمارة الإسلامية، فقد أضيفت إليه بعض المعالم الإسلامية، مثل القبة والمئذنة، فضلاً عن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي أضيفت إلى زخرفاته، وبهذا مزج الأمويون الطراز المعماري البيزنطي مع العربي، فيما أصبح الطراز المعماري الأموي. وقد تميّز هذا الطراز المعماري بالزخارف والفسيفساء، وكانت العناصر الزخرفية لهذا الطراز مزيجاً من جملة عناصر ورثها عن الفنون التي سبقتها، وتظهر فيه الدقة في رسم الزخارف النباتية والحيوانية، ومحاولة تمثيل الطبيعة متأثراً فيما يبدو بالفنون البيزنطية<sup>(2)</sup>.

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، المجلد الثاني والثالث والرابع، العش، يوسف (1985)، الدولة الأموية: والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، الطبعة الثانية، دار الفكر، سوريا، ص200. شاكر، محمود، (1982)، التاريخ الإسلامي، ج4، العهد الأموي، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي قبايني، محمد، (2006)، الدولة الأموية: من الميلاد إلى السقوط، دار الفاتح، دار وحي القلم.  
(2) عيسى، القيم الجمالية، ص28.

شكل (1) نماذج من الزخارف في العمارة الأموية



## • عبد الملك وعمارته لمسجد قبة الصخرة المشرفة

للقدس مكانة خاصة عند المسلمين، فلقد كانت مهبط الوحي، ومعراج الرسول عليه السلام إلى السماء، وقدس الله عز وجل المسجد الأقصى في القرآن الكريم فهو أولى القبلتين، ومحط تجمّع الأنبياء حيث صلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم، قال سبحانه " : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " (الاسراء، 1)، والقدس مدينة الأنبياء والصحابه الأبطال، وقد كرمها الله عز وجل، وجعل منها المكان الذي تلتقي فيه الأرض مع السماء، كما كانت مستقرًا لكثير من الملوك والخلفاء والأمراء والعلماء، ومن على ظهر الصخرة المقدسة عرج بالرسول عليه الصلاة والسلام<sup>(1)</sup>.

حضر الخليفة عبد الملك بن مروان إلى مدينة القدس، وفكر أن يبني قبة كبيرة على الصخرة، لتقي المسلمين الحر والبرد، وتكون غطاءً لمسجد يصلي الناس فيه، وبدأ بمشاوره عماله في الأمصار، وياشر بالتنفيذ في بنائها سنة 66هـ / 685م، وتم الفراغ منها سنة 72هـ / 691م. وقد أشرف على بنائها المهندسان العريبيان هما: رجاء بن حيوة الكندي، وهو من بيسان فلسطين، وكان المسؤول عن التصميم والشكل العام للبناء، ويزيد بن سلام مولى عبد الملك بن مروان، وهو معماري خبير من القدس، وكان المسؤول عن النواحي العملية في هندسة العمارة في القبة<sup>(2)</sup>.

فكر عبد الملك بن مروان أن يغطي الصخرة المقدسة بنوع من البناء يتناسب وقباب المدينة المرتفعة، وقيل إن عبد الملك حين فكر في بناء قبة عالية تغطي الصخرة؛ رصد لبنائها خراج مصر لسبع سنين، وحين أنفقت هذه الأموال على البناء بقي منها مائة ألف دينار، فأمر عبد الملك بن مروان بها جائزة للرجلين المشرفين على البناء، وهما رجاء بن حيوة الكندي ويزيد سلام، فرفضا قائلين: «نحن أولى أن نزيد من حلي نساننا فضلاً عن أموالنا، فاصرفه في أحب الأشياء إليك»، فأمر عبد الملك بأن يصنع منها صفائح ذهبية تكسى بها القبة من الخارج<sup>(3)</sup>.

فيما تعد قبة الصخرة المشرفة إحدى أهم المعالم الإسلامية في العالم، ذلك أنها إضافة إلى مكانتها وقدسيتها الدينية، تمثل أقدم نموذج في العمارة الإسلامية من جهة، ولما تحمله من روعة فنية وجمالية تطوي بين زخارفها بصمات الحضارة الإسلامية على مر فترات المتابعة من جهة أخرى، حيث جلبت انتباه واهتمام الباحثين والزائرين وجميع الناس من كل بقاع الدنيا، لما امتازت به من تناسق وانسجام بين عناصرها المعمارية والزخرفية، حتى اعتبرت آية في الهندسة المعمارية<sup>(4)</sup>.

(1) الحنبلي، مجير الدين، (1973)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحتسب، عمان، الجزء 2، ص 24، عيسى، القيم الجمالية، ص 8.

أبو عليه، عبدالفتاح، (2000)، القدس دراسة تاريخية، دار المريخ للنشر، الرياض، ص 26، 33، 41.

(2) الدباغ، بيت المقدس، 120/1-121، عيسى، القيم الجمالية، ص 44

(3) ابن كثير، البداية، 40/12، 41، الحنبلي، الأنس الجليل، الجزء 1، ص 272، الموسوعة الفلسطينية، مجلد 3، ص 23-24، العفاني، سيد

حسين، (2001م). تذكير النفس بحديث القدس واقداسه، الجزء الأول، الطبعة الأولى. بني سويف- مصر. مكتبة معاذ بن جبل، 213

(4) العارف، عارف، (1955)، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، طبعة القدس، ص 74-75. ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار التراث،

بيروت، 1968

يقع مسجد الصخرة وقبته في وسط الساحة من أرض المسجد القدسي<sup>(1)</sup>، وهو أحد أجزاء المسجد الأقصى "فالمسجد الأقصى هو كل ما داخل سور الأقصى"، وجزء من أحد أهم المساجد الإسلامية في مدينة القدس وفلسطين والعالم الإسلامي، ومن أجمل الأبنية الدينية في العالم، إذ تُعتبر قبته من أهم وأبرز المعالم المعمارية الإسلامية، كما ويُعد أقدم بناء إسلامي بقي مُحافظًا على شكله وزخرفته. وقد أهتم المسلمون برعاية قبة الصخرة المشرفة وعنايته على مر الفترات الإسلامية المتعاقبة، وبخاصة بعد ما كان يحدث بها من خراب جراء التأثيرات الطبيعية، مثل الهزات الأرضية والعواصف والأمطار والحرائق، فلم يتأخر أي خليفة أو سلطان في ترميمها والحفاظ عليها<sup>(2)</sup>.

(1) الحنبلي، الأنس الجليل، الجزء 1، ص272، الموسوعة الفلسطينية، مجلد3، ص23-24

(2) عيسى، القيم الجمالية، ص 44.

ذكر بعض المؤرخين أن عبد الملك لما أمر ببناء القبة أقاموا له قبة صغيرة لطيفة كنموذج لقبة الصخرة، ولها أحد عشر ضلعاً من الخارج، وستة أضلاع تحمي القبة الصغيرة، والمعروفة بقبة السلسلة قرب قبة الصخرة، فلما انتهت زارها، وقال: «ابنوا قبة أكبر من هذه باثني عشر ضلعاً، وانقصوا من الأضلاع»، فتم تجهيز وإعداد شكل قبة الصخرة وإعدادها بأضلاعها الثمانية، ثم بدء العمل بها، وقد كانت قبة السلسلة بعد بنائها المكان الرئيسي للإشراف على بناء قبة الصخرة. يأخذ تخطيط قبة الصخرة شكلاً مثنياً خارجياً، به أربعة مداخل محورية، يتقدم كلاً منها سقيفة محمولة على أعمدة، يليها مثنى داخلي مكوّن من دعائم رئيسية، وبين كل دعامتين عمودان يكونان ثلاثة عقود، فمجموعها أربعة وعشرين عقداً داخل التثمينية، ودائرة من الأعمدة والأكتاف مكونة من أربعة دعائم كبيرة، بين كل دعامة وأخرى ثلاثة أعمدة تحمل ستة عشر عقداً مديباً، وقد صنعت القبة من الخشب، وغطيت من الخارج بطبقة من الرصاص، ويوجد بالرقبة 16 نافذة، وقد أحاطت الدائرة بالصخرة حتى يمكن الطواف حولها<sup>(1)</sup>.

الصخرة المشرفة عرج منها النبي محمد إلى السماء في رحلة الإسراء والمعراج، ترتفع هذه الصخرة نحو 1,5 متراً عن أرضية البناء، وهي غير منتظمة الشكل، يتراوح قطرها بين 13 و 18 متراً، وتعلو الصخرة في الوسط قبة دائرية بقطر حوالي 20 متراً، مطلية من الخارج بألواح الذهب، ارتفاعها 35م، يعلوها هلال بارتفاع 5م. ويذكر بعض العلماء أن الكنائس التي بناها فرسان الهيكل فيما بعد تأثرت بأسلوب العمارة الإسلامية وبنمط قبة الصخرة، ويظهر ذلك جلياً في قلعة كاستل دل مونتي الإيطالية<sup>(2)</sup>.

وصف ابن كثير في كتابه البداية والنهاية مدى جمالية المسجد بقوله: «ولم يكن يومئذ على وجه الأرض بناء أحسن ولا أبهى من قبة صخرة بيت المقدس، بحيث أن الناس التهبوا بها عن الكعبة والحج، وبحيث كانوا لا يلتفتون في موسم الحج وغيره إلى غير المسير إلى بيت المقدس، وأفتتن الناس بذلك افتتاناً عظيماً، وأتوه من كل مكان، وقد عملوا فيه من الإشارات والعلامات المكذوبة شيئاً كثيراً مما في الآخرة، فصوروا فيه صورة الصراط وباب الجنة، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووادي جهنم، وكذلك في أبوابه ومواضع منه، فاغتر الناس بذلك، وإلى زماننا، وبالجملة أن صخرة بيت المقدس لما فرغ من بنائها لم يكن لها نظير على وجه الأرض بهجة ومنظراً، وقد كان فيها من الفصوص والجواهر والفسيفساء وغير ذلك شيء كثير، وأنواع باهرة»<sup>(3)</sup>.

(1) المرجع السابق، ص 44

(2) الموسوعة، دار الإفتاء الأردنية، هل الصخرة التي في بيت المقدس معلقة في الهواء. نسخة محفوظة 14 أغسطس 2013 على موقع واي باك مشين. دليل المسجد الأقصى المصوّر: قبة الصخرة. نسخة محفوظة 27 ديسمبر 2012 على موقع واي باك مشين. فرسان الهيكل وعمارة وقبة الصخرة (بالإيطالية). نسخة محفوظة 13 مارس 2013 على موقع واي باك مشين.

(3) كاستل دل مونتي (Castel del Monte) مبنى شيده ببوليا الإمبراطور فريديريك الثاني في القرن الثالث عشر، في قرية صغيرة من بلدة تحمل الاسم نفسه، بالقرب من سانتا ماريا دل مونتي. يقع كاستل دل مونتي على تلة في السلسلة الغربية من 540 متراً فوق مستوى سطح البحر أقرب المدن أندريا 18كم، وروفو دي بوليا وكوراتو 21 كم. أدرجتها اليونسكو في قائمة المعالم الوطنية في إيطاليا وفي تراث الإنسانية. <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%83%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%8> (ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء 8، ص309).

## ثانياً: الفن المعماري وهندسة العمارة في مسجد قبة الصخرة المشرفة

لقد تأثر الفن الإسلامي بفنون الحضارات التي احتواها الإسلام تأثراً خلاقاً، وبخاصة الفنان الساساني والبيزنطي، وعالج فنونهما التجريدية بما يتفق مع تعاليم الدين الإسلامي وروحه وفلسفته، واستبعد منها الجوانب الأسطورية، واستتبطن المسلمون نسقاً معمارياً مميزاً متكاملًا من التشكيلات والتراكيب المعمارية والزخرفية التي تكون في مجموعها الطراز الإسلامي الموحد في روحه وطابعه<sup>(1)</sup>.

تتبع القيم الجمالية عند عموم العرب والمسلمين من القرآن والسنة والموروث الحضاري الإسلامي، وهو يعبر عن المنظور الإسلامي للكون بما فيه " هو الفن الذي يرسم صورة الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود ، هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان ، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان. ولم تخلُ العمارة الإسلامية من اللمسات واللمحات الجمالية كونها عمارة تتبع أساسًا من الفكر الإسلامي الذي اهتم بالجمال وقدره وجعله من الأمور المحببة للإنسان.

وفي المنظور الاصطلاحي الإسلامي فهي "مجموعة من : المثل العليا، والغايات، والمعتقدات والتشريعات، والوسائل، والضوابط، والمعايير لسلوك الفرد والجماعة، مصدرها الله عزوجل، وهذه القيم هي التي تحدد علاقة الإنسان وتوجهه إجمالاً وتفصيلاً مع الله تعالى ، ومع نفسه ومع البشر ومع الكون ، وتتضمن هذه القيم غايات ووسائل"<sup>(2)</sup>.

وعماره مبنى قبة الصخرة تمثل نموذجاً فريداً ومتميزاً في أسلوب الأعمال التصميمية ونوعيتها في العهد الأموي، ومع أن كثيراً من أعمال الترميم والحفاظ والتجديد التي أجريت على مكونات المبنى المعمارية في أوقات زمنية مختلفة، التي أشار إليها المؤرخون والرحالة المسلمون أمثال العمري، والمقدسي، وابن بطوطة، وغيرهم في كثير من كتاباتهم؛ مع ذلك فإن الشكل العام بقي محافظاً على هيئته الأولى منذ إنشاء المبنى في نهاية القرن السابع الميلادي، حيث إن أعمال التجديد و الحفاظ والترميم التي كانت تجري باستمرار؛ اعتمدت على تغيير القطع الناقصة والمنهارة وتبديلها، مع المحافظة قدر الإمكان على نوعية العناصر المرمة وتشكيلاتها جراء تلفها بسبب الكوارث الطبيعية كالحرائق، وكذلك أعمال التهديم والتخريب إبان حوادث الفتن والحروب التي كان موقع قبة الصخرة مسرحاً لها وشاهداً عليها طيلة امتداد تاريخها السحيق، ولا يزال المبنى منذ نحو ألف وثلاثمائة سنة حتى الوقت الحاضر محتفظاً بوضوح حضوره المعماري وجلاء هيئته المميزة في خط سماء فضاء المدينة المقدسة، رغم قساوة ضروب التشويهات التي طالت المبنى ومجاورات، وقد كان الطراز المعماري للمساجد الإسلامية عبر العصور المختلفة قد تنوع بين عدة طرز معمارية، وكانت أغلب المساجد التي بنيت عبر كل العصور تنطلق من أحد الأنواع أو الطرز، ولكن كان هناك مسجد واحد منفرد يعصي من أن تنطبق عليه صفة من صفات المساجد الأخرى في العالم الإسلامي بأسره، وهو قبة الصخرة المثل الوحيد في تاريخ العمارة العربية الإسلامية<sup>(3)</sup>.

(1) عكاشة، ثروت، (1994)، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط1، ص.33، 32.

(2) عيسى، القيم الجمالية ، ص22، 25.

(1) عيسى، القيم الجمالية ، ص8، عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ص33

كانت العمارة الإسلامية في عهدها الأموي تعيش أفضل أيامها، وقد احتوت عمارة مسجد قبة الصخرة المشرفة كثيرًا من القيم و العناصر والمكونات المعمارية المهمة التي جعلتها تحفة معمارية رائعة، ويعد بناء قبة الصخرة المشرفة صرح حضاري مميز، يمثل قيمة نوعية وحضارية في تاريخ الحضارة العربية والإسلامية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، حيث يعد بناء مسجد قبة الصخرة من أقدم الآثار المعمارية في العمارة الإسلامية، كما ويعد من أجمل المباني على وجه الأرض، حيث هي درة الجمال، وأيقونة معمارية مميزة، تحدث في جمالها المعماريون كالنقاد والباحثين. وغطت معظم أروقة وجدران المصلى من الداخل بالفسيفساء، تظهر الفن الإسلامي في الزخرفة؛ كي تشكل وحدة فنية منسجمة في التكوين ومتحدة في الأسلوب، حيث أنّ حجارة الفسيفساء كانت مصنوعة محلياً. أجمل ما في الزخرفة الآيات القرآنية في أعلى أقواس المضلع المثلث الأوسط، تعد أقدم ما كتب من الخط العربي الجميل، أطلق عليه اسم الخط الجليل. ومجموعة الألواح البرونزية المذهبة التي تغطي بعضها أجزاء من الأبواب الأربعة أو الأفاريز الواصلة بين تيجان أعمدة أرواق هي أجزاء فريدة في العالم؛ لأصالتها ولجمالها وغناها الزخرفي، وتسيطر عليها أوراق العنب والعناقيد المعالجة بمهارة متجددة<sup>(1)</sup>.

وقد جاء الاستغناء عن الصور الممثلة للإنسان والحيوان وفقاً لأحكام الديانة الإسلامية، واستعيض عنها بالأشكال الطبيعية والرسوم المركبة والتقليدية، مما أعطى المكان رونقاً يمتاز من غيره بما يبحث في النفس من الشعور بالهدوء والطمأنينة والتأمل العميق، والزخرفة بمجموعها مكونة من أشكال متباينة مرنة التكييف، ولا شك أن الفنان الصانع لها كان أميئاً في صنعه على المبادئ الأساسية لأساليب الزخرفة التي كثيراً ما أهملت، وهي أن تأتي الزينة والزخرفة متنافسين مع المكان الذي تجملائه. وهندسة البناء الداخلية هي التي تطلبت أن تكون الزخرفة على ما جاءت عليه.

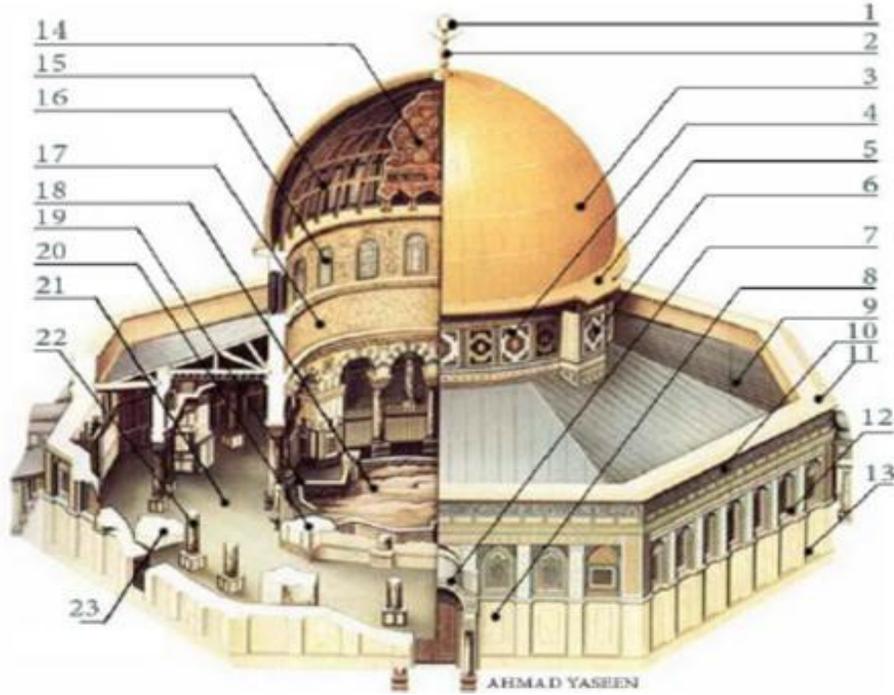
وصفوة القول أن قبة الصخرة في هندستها وشكلها وزخرفتها كانت ولا تزال من أجمل المباني الدينية وأروعها التي أتحت بها العالم، وهي آية من آيات الفن المعماري الإسلامي، وقلما يوجد في مباني العالم ما يفوقها، أو يضارعها بهاء وروعة وجمالاً، فزيادة على زخرفة سقوفها المذهبة وجدرانها الرخامية ونوافذها الزجاجية تفتن العين بالفسيفساء، وجمال تأليفها، وألوانها التي جاءت كلها على أحسن تناسق وانسجام، وبالأشكال المتنوعة التي استعملت، والأساليب، والألوان، ودقة الصنع التي بلغت الحد الأعلى من الكمال، كل هذا جعل من قبة الصخرة أثراً فريداً في تاريخ الفن. ولقد مرت عليها الآن أكثر من ثلاثة عشر قرناً، ولا تزال تحتفظ بمقاييس الجمال والرشاقة المعمارية، رغم التطور العظيم في فنون العمارة<sup>(2)</sup>.

(1) عيسى، المرجع السابق ، ص152، عكاشة، المرجع السابق، ص32

(2) عيسى، المرجع السابق ، ص152، عكاشة، المرجع السابق، ص32

• الوصف العام لمبنى مسجد قبة الصخرة المشرفة:

مبنى مسجد قبة الصخرة هو بناء حجري، ذو مسقط أفقي من شكل ثماني الأضلاع ، مقبب ، بقبة مركزية ضخمة، يضم فضاءها الصخرة المكرمة، وقد بُني المسجد فوق الصخرة المشرفة، مبين أدناه المكونات المعمارية لعناصر مسجد قبة الصخرة المشرفة وأجزائه.



شكل (2) الأجزاء المكونة لمسجد قبة الصخرة المشرفة

|                             |  |                                 |
|-----------------------------|--|---------------------------------|
| 1- هلال القبة الذهبي        | 2- حامل الهلال العمود الذهبي                                 | 3- الصفائح الذهبية تغطي القبة   |
| 4- فسيفساء نوافذ رقبة القبة | 5- الحافة السفلية لصفحة القبة                                | 6- أحد دعائم رقبة القبة الذهبية |
| 7- الباب الشرقي والقبو      | 8- الواجهة الرخامية الشرقية                                  | 9- صفائح الرصاص تغطي القبة      |
| 10- زخرفة آية الكرسي        | 11- التصوينة العلوية   | 12- نوافذ القبة في التثمينة     |
| 13- دعامة للجدار الخارجي    | 14- فسيفساء القبة الخشبية                                    | 15- الجملونات تحت القبة         |
| 16- نوافذ القبة من الداخل   | 17- رقبة القبة الداخلية                                      | 18- صخرة بيت المقدس             |
| 19- سياج الصخرة في الداخل   | 20- الركائز التي تحمل القبة                                  | 21- أرضية مبنى قبة الصخرة       |
| 22- أعمدة التثمينة الداخلية | 23- الدعامات الحجرية تحمل التثمينة الداخلية <sup>(1)</sup> . |                                 |

(1) ياسين، احمد ، 2006 ، قبة الصخرة درة الجمال ، مطبوعة الكترونية.

### شكل (3) نماذج من الزخارف والنقوش والآيات القرآنية في مسجد قبة الصخرة





### ● قبة الصخرة المشرفة بين التقديس والخزعبلات

الصخرة المشرفة هي صخرة طبيعية غير منتظمة الشكل، تقع في أعلى نقطة من المسجد الأقصى المبارك في موقع قلب المسجد بالضبط، وهي صخرة طبيعية تتراوح أبعادها بين حوالي 13 متراً و18 متراً، ويبلغ ارتفاعها حوالي المترين تقريباً، وقد دارت حولها القصص الخيالية غير الصحيحة بشكل كبير، فمن قال إنها طائفة في الهواء، ومن قال إنها طارت خلف النبي، ومن قال إن لها نوراً، وغير ذلك.

والحقيقة أنها صخرة عادية ليس فيها أي ميزة إلا إنها كانت قبلة أنبياء بني إسرائيل قبل النبي عليه الصلاة والسلام، وقيل إن النبي عرج من فوقها للسماء ليلة الإسراء والمعراج، وفيها مغارة صغيرة تسمى (مغارة الأرواح)، وهي تجويف طبيعي أيضاً، وليس فيه أي ميزة خارقة للعادة، وقد بنيت الصخرة المشرفة فوق الصخرة، وهي ظاهرة للعيان إلى اليوم.

حاكت القصص الشعبية خيالات وخزعبلات كثيرة حول الصخرة المشرفة، ذكرها الكثير من العلماء، وجمعها اعيى القدومي في كتابه (المسجد الأقصى: الحقيقة والتاريخ)، فمن هذه الخزعبلات والأكاذيب أن الصخرة من صخور الجنة، وأنها سيدة الصخور، وهي معلقة من كل الجهات، كما أن مياه الأرض كلها تخرج من تحت هذه الصخرة، وتتحول إلى مرجانة بيضاء، وأن عليها موضع قدم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم، وعليها أثر أصابع الملائكة، وأن الماء الذي يخرج من أصل الصخرة نهر من أنهار الجنة، وأن المياه العذبة والرياح واللوايح من تحت صخرة بيت المقدس، وقيل أنها عرش الله الأدنى، ومن تحتها بسطت الأرض، وأنها وسط الدنيا، وأوسط الأرض كلها، وأخيراً أن لها مكانة الحجر الأسود في الكعبة<sup>(1)</sup>.

أكد عبد الله معروف في دراسته لمعالم المسجد الأقصى أن العلماء أنكروا هذا التعلق بالصخرة، وبينوا أنها صخرة طبيعية، وجزء من المسجد الأقصى، وليس لها أية ميزة خاصة. ويؤكد على أن تنبيه الناس على أمر صخرة بيت المقدس لا يقلل من فضائل المسجد الأقصى وبيت المقدس وبركته وفضيلته، وثبت عن رسول الله ﷺ في كتب الصحاح والسنن الكثير من الأحاديث التي نصت على ما حباه الله تعالى من الخير والبركة، وبينت الخصائص التي

(1) القدومي، عيسى(2008)، المسجد الأقصى: الحقيقة والتاريخ، مركز بيت المقدس، ط2، فلسطين.

تميز بها المسجد الأقصى وأرضه؛ لما لها من مكانة عظيمة ومنزلة رفيعة في الشرع الإسلامي. فبركة المسجد الأقصى ثابتة في الكتاب والسنة، ولنا غنى في الصحيح منها عن الموضوع والمكذوب<sup>(1)</sup>. خلاصة الأمر هو أن كل ما قيل في هذه الصخرة أصله من الإسرائيليات، وليس له أصل في المصادر الإسلامية الأساسية سواء أكان في القرآن الكريم أو في الصحيح من حديث النبي صلى الله عليه وسلم، وما التركيز على هذا الأمر إلا لانتشار الخزعبلات بين المسلمين في هذه الأيام، وبخاصة مسألة تعليق الصخرة في الهواء!<sup>(2)</sup>.

#### شكل (4) صور من المعالم المعمارية في صحن قبة الصخرة



(1) معروف، عبدالله ورافقت مرعي (2010)، *أطلس معالم المسجد الأقصى المبارك*، مؤسسة الفرسان للنشر، عمان، ط.1.

(2) ويكيبيديا، الموسوعة الحرة <https://ar.wikipedia.org/wiki/>



## الخاتمة

في الختام نجد أن العمارة الإسلامية في العهد الأموي بلغت أوج عظمتها، وقد أقام الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان مسجد قبة الصخرة على موضع في بقعة المسجد القدسي الشريف، وهي أقدم أثر إسلامي معماري فني في تاريخ العمارة الإسلامية، ويشهد هذا البناء على كل ما كان يتحلى به المعمار الأموي من فن وذوق معماري إسلامي يتباهى به المسلمون في كل بقاع الدنيا بما وصلوا إليه من تقدم معماري وبنائي وفني.

لذا لا بدّ من المحافظة على هذا التراث الإسلامي وصونه وتعميره، وهو أمانة إسلامية لا بد من العناية بها والدفاع عنها وحمايتها، فهو واجب إسلامي ووطني في آنٍ واحدٍ.

## النتائج

- العمارة الإسلامية احتوت على كثير من ملامح القيم الجمالية ومكوناته ومفرداته.
- العمارة الأموية التي تنتمي إلى المدرسة الإسلامية في العمارة لها خصائص وجماليات تعبّر عن قيم جمالية واضحة.
- للمسجد الأقصى المبارك منزلة جليلة في نفوس المسلمين، حيث أنه أول القبلتين، ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعراجة إلى السماء، ولقبة الصخرة المباركة مكانة كبيرة في المجتمع الإسلامي وفي تاريخ العمارة الإسلامية.
- يعد بناء قبة الصخرة المشرفة من أهم المعالم المعمارية التي شيدها الإنسان في العصور الحديثة.
- مسجد قبة الصخرة المشرفة الذي يقع في المسجد الأقصى الذي ينتمي إلى مدرسة العمارة الأموية يعد آية من آيات الجمال وقيمة عليا من القيم الجمالية في العمارة.

## التوصيات

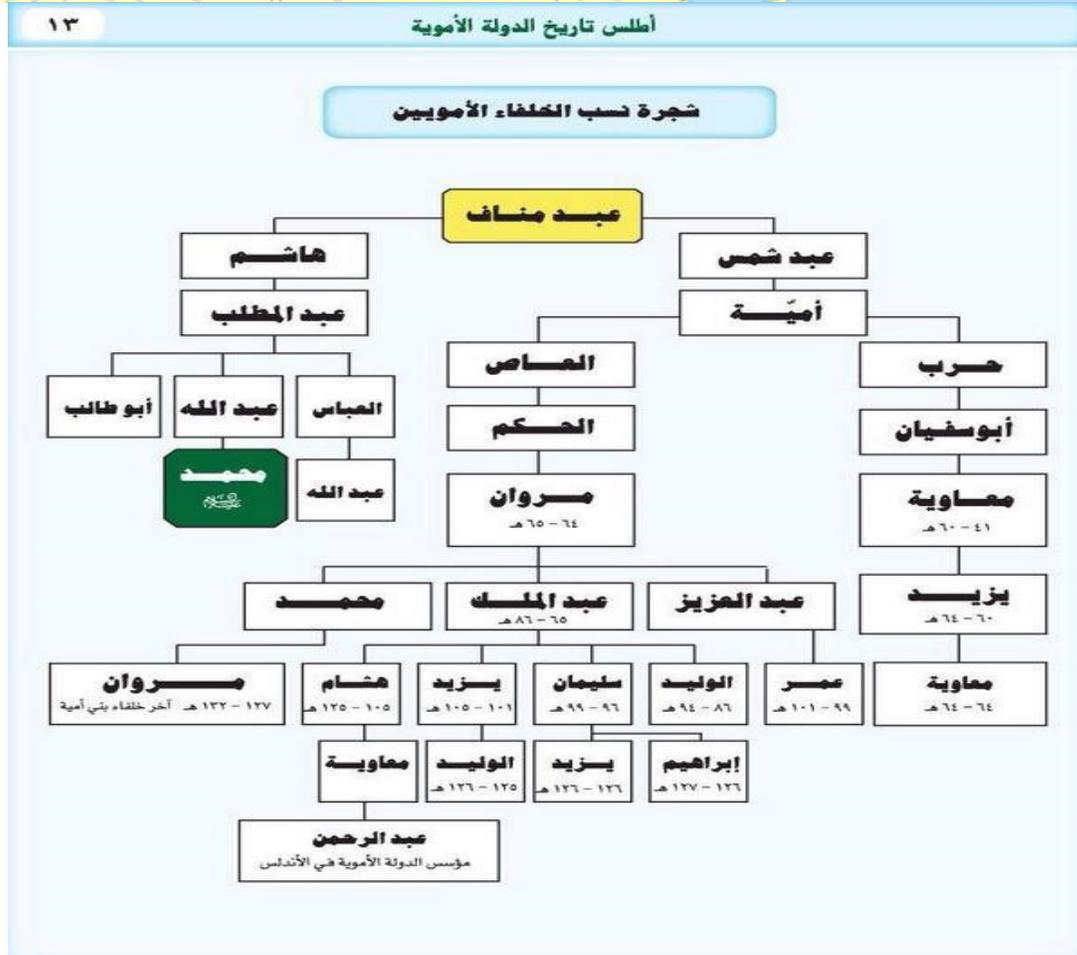
- تشجيع الدراسات المعمارية والأبحاث المتخصصة في دراسة عمارة المسجد الأقصى وتوثيقه ، وتركيز الإعلام والمؤتمرات والندوات على الجوانب المعمارية والتراثية لعمارة القدس والمقدسات الإسلامية في سياق حملة الدفاع عنها ضد تهويد المقدسات وسرقة تراثنا الإسلامي .
- إنشاء مراكز الدراسات التي تعنى بالأقصى وقبة الصخرة والعمارة الإسلامية فيها، وإبراز الوجه الحضاري المشرق لها.
- تضمين مساقات الجامعات والكليات والمعاهد العلمية ومناهج التعليم على أهمية و قدسية فلسطين والمسجد الأقصى .

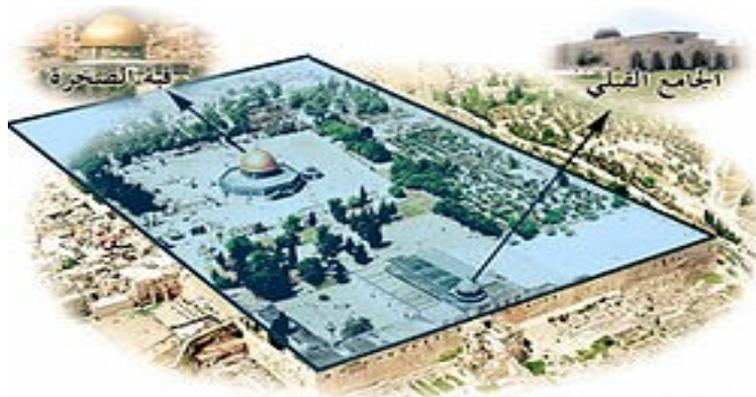
## قائمة المصادر والمراجع

- ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن أبي الكرم الشيباني(1979)، الكامل في التاريخ .دار الكتاب العربي، بيروت.
- الأمين، حسين،(1356هـ.ق)، صور من التاريخ الإسلامي: ثورة التوابين 1، مجلة العرفان، المجلد السابع والعشرين، الجزء 8
- ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، دار التراث، بيروت، 1968.
- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل احمد بن علي (1326هـ)، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف لنظامية، الهند، ط1.
- الحنبلي، مجير الدين،(1973)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، مكتبة المحاسب، عمان، الجزء 2.
- ابن حسين، بثينة، (1997م)، الدولة الأموية ومقوماتها الأيدولوجية والاجتماعية، الطبعة الأولى، سوسه - تونس. المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (608-681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار صادر، بيروت.
- خماش، نجدت، (1987م). الشام في صدر الإسلام، الطبعة الأولى، دمشق - سوريا. دار طلاس.
- الذهبي، شمس الدين محمد، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الرئيس، محمد ضياء الدين،(1969)، عبدالملك بن مروان والدولة الأموية، ط2.
- ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق أحمد عبد السلام الزعبي (1418 هـ - 1997م)، الجزء الأول، الطبعة الأولى، بيروت - لبنان. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم.
- ابن كثير، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر (1991)، البداية والنهاية، مكتبة دار المعارف، بيروت.
- شاكر، محمود،(1982)، التاريخ الإسلامي، ج4، العهد الأموي، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي.
- الصلابي، علي(2008)، عوامل الازدهار وتداعيات الاندثار، دار المعرفة، بيروت، ط2، المجلد 1.

- الطبري، محمد بن جرير،(1985)، تاريخ الأمم والملوك ، دار الفكر، بيروت، ط1.
- العارف، عارف،(1955)، تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى، طبعة القدس.
- ابن العربي، أبو بكر، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي، تحقيق محمود مهدي الإستنبولي ومحب الدين الخطيب (1412 هـ).، الطبعة السادسة، القاهرة - مصر. مكتبة السنة.
- العث، يوسف(1985)، الدولة الأموية: والأحداث التي سبقتها ومهدت لها ابتداءً من فتنة عثمان، الطبعة الثانية، دار الفكر، سوريا.
- العفاني، سيد حسين، (2001م). تذكير النفس بحديث القدس واقدساه، الجزء الأول، الطبعة الأولى. بني سويف- مصر. مكتبة معاذ بن جبل.
- عكاشة، ثروت،(1994)، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، دار الشروق، القاهرة، ط1.
- أبو عليه، عبدالفتاح،(2000)، القدس دراسة تاريخية، دار المريخ للنشر، الرياض.
- عويس، عبد الحليم(2002)، بني أمية بين السقوط والانتحار، الطبعة 1. القاهرة - مصر. سوبرلر للنشر.
- عيسى، خالد(2011)، القيم الجمالية وهندسة العمارة في مسجد قبة الصخرة المشرفة وسبل الاستفادة منها في العمارة المعاصر، (دراسة نقدية و تحليلية) ،رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة.
- قباني، محمد،(2006)، الدولة الأموية: من الميلاد إلى السقوط، دار الفاتح، دار وحي القلم.
- الناطور، شحادة،(1996)، تجديد الدولة الأموية، دار الكندي، إريد، ط1.
- المواقع الالكترونية:
- ويكيبيديا، الموسوعة الحرة <https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D8%B9%D8%B1%D9%83%D8>

## الملاحق (الخرائط والصور)





كلاهما جزء من المسجد الأقصى الذي يشكل كل المساحة المسورة (بالأزرق) ويشمل ذلك السور نفسه والساحات والحدائق وسهائم وياطن أرض المسجد

